ويجعلوه سلاحهم وليس سلاح عدوهم . أما في الشرق الاوسط ، فالرواية لم تكتمل فصولها بعد ، بحيث نجدنا مطالبين بالتنبؤ من جانب ، وبالدعوة الى التنبه، والاستفادة من درس فييتنام الدبلوماسي من جانب آخر .

١ ــ دبلوماسية كيسنجر

الدبلوماسية في أبسط معانيها هي فن المفاوضة ، بل ما يعنيه ذلك من أخذ وعطاء ، وتشدد ومرونة ، ومحاولات للف والدوران ، واستغلال نقاط الضعف في الخصم وتقوية نقاط القوة الذاتية وتضخيمها وتغطية نقاط الضعف الذاتي ، وغير ذلك . وأدوات الدبلوماسية هي الارغام والاغراء ، وكل منهما يعتمد على الآخر الى حد كبير ويتدعم به ، القدرة على الارغام تعطي قدرة كبيرة على اغراء الخصم على قبول ما هو معروض عليه .

وقد توصل كيسنجر في يناير (كانون الثاني) ١٩٧٣ الى توقيع اتفاق باريس حول فييتنام . قيل الشيء الكثير عن قدراته الدبلوماسية الخارقة ، وهي قدرات لا مجال للتقليل من شأنها ، ولكنها صورت ــ على الاقل في بلادنا ــ بأكثر من حقيقتها . جاء كيسنجر من الجامعة الى العمل السياسي التنفيذي : مستشارا للرئيس لشؤون الامن القومي ، ثم وزيرا للخارجية . وكيسنجر رجل الجامعة !الاكاديمي يملك فلسفة بمعنى وجهة نظر متكاملة في سياسة بلاده الخارجية . وجهة نظر صاغها وكونها قبل أن يدخل مجال السياسة العملية . وهذا شيء نادر في دنيا السياسة ، حيث نجد اما رجل نظرية وفكر أو تفكير سياسي فقط ، او رجل سياسة عملية فقط . كيسنجر واحد من تلك القلة النادرة التي جمعت بين « النظرية » و« العمل » ، بين « الفكر » و« التطبيق » .

من جانب آخر ، وعى كيسنجر ظروف العصر واستوعبها جيدا ، وحاول أن يوائمها ويتواءم معها ليحقق هدفا مباشرا وأساسيا : أن تكون أمريكا القوة الكبرى الوحيدة القادرة على أن تحدد وتتحكم في مسار ومصير العلاقات الدولية ، لاطول فترة ممكنة ، ولا مانع في ذلك من أن تكون « الاول بين الاوائل » ، أو القوة الاكبر بين القوى الكبرى : تتجمع في يدها كل الخيوط ، فتشد هذا ، وترخي ذلك ، وتتقدم هنا وتتأخر هناك ، وتتنازل في مكان وتتمسك بشدة في مكان آخر ، وتتراجع في نقطة وتتقدم في أخرى ، اعتمادا على أسلوب « الجمع بين السلام والقتال » وتطبيقه على مستوى الصراع الدولي ككل ، وعلى كل مشكلة على حدة . وهو الاسلوب الذي برع كيسنجر في تطبيقه .

والبراعة الفردية ، دبلوماسية او غير دبلوماسية ، تحكمها في النهاية الظروف التي تحيط بها . واذا كان كيسنجر قد وعى ظروف عصره وحاول التواؤم مع هذه الظروف لتحقيق « السلام الامريكي » ، واذا كان كيسنجر قد أعجب بميترنيخ رجل التوازن الاوربي والسيادة الاوربية من مؤتمر فيينا في ١٨١٥ الى الحرب العالمية الاولى في ١٩١٤ ، ولمدة مائة عام كاملة ، وحاول أن يتشبه به ، فان عصر كيسنجر ، ليس عصر ميترنيخ . وعصر سيادة الاستعمار ثم تحول الاستعمار الى امبريالية شيء ، وعصر الانتقال العالمي من الرأسمالية الى الاشتراكية شيء آخر . وهذا هو القيد « القدري » الذي أحاط بدبلوماسية كيسنجر ، وحدد مصيرها ، أيا كانت الانجازات التي تمكن الرجل من تحقيقها في فترة أو أخرى ، على طريق « الانفراج الدولي » أو تهدئة بعض الصراعات الدولية المشتعلة وتبريدها .

ذلك أن دبلوماسية كيسنجر تتسم بأنها « دبلوماسية تهدئة » و« تبريد » للمشاكل الساخنة ، وليست دبلوماسية حلول نهائية أو بعيدة المدى ، كما انها دبلوماسية